على ذكر المولد النبوى

للدكتور عبد الوهاب عزام

الذكر العظيمة فى تاريخ الأمم نجوم يُهتدى بها فى ظلمات الأيام، وأعلام يستبين بها الطريق فى ضلالات الزمان، ودعوات إلى الحق والخير تدوّى على مر السنين. والزمان بالناس دائر لا يفتر، تعتورهم أحداثه، وتتداولهم غِيَره، فمن لم يعتصم بسبب من الحق، ويستمسك بعروة من العمل الصالح، ضلّ وانبهمت عليه السبل، والتبس عليه الحق والباطل، والهدى والضلال. ومن لم يجعل له قدوة من سير العظماء تردّد وتحيّر، والزمان لا ينتظر المترددين الحيارى، أو ضل وهلك، والدهر لا يشفق على الضُلّال والهلكى.

وإن لنا معشر المسلمين من سيرة رسولنا خاتم النبيين نجوماً نيّرات، وأعلاماً واضحات، وأمّى تهدى إلى الخير والبر، والتى هى أقوم من أعمال الدين والدنيا. إن لنا من سيرة الرسول الكريم هدى فى كل صغيرة وكبيرة من أعمال الفرد والجماعة.

فقد حفظ لنا التاريخ سيرته فى بيته ومسجده، وفى سياسة الجماعات، وتربية الأمم، وقيادة الجيوش، وفى الإصلاح بين المتعادين، والقضاء بين المتخاصمين، وفى السفر والحضر، والشدة والرخاء، والحرب والسلم، والغضب والرضا، فما تلقانا حادثة من حوادث الزمان، أو عمل من أعمال الحياة خيرها وشرها، ونحلوها ومرها، إلا وجدنا فى سيرة سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد صلوات الله عليه وسلامه مثلاً عالياً، وأسوة حسنة، ورأياً هادياً، وقضاء فصلاً، يهدينا إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة. كل فرد منا يجد فى سيرة محمد وهديه شفاء دائه، والتحرر من أهوائه، وإصلاح خلقه؛ وكل فرد منا يجد فى سيرة نبيه الجهاد فى الحياة والصبر على لأوائها، والطموح إلى معاليها، والاستكبار عن دنايا، والإباء على كل ضيم والنفور من كل مذلة

وكل أمة من أمم المسلمين تدوى فيها ليل نهار الدعوة المحمدية تدعوها إلى أن تقوم فى أرض الله على عباد الله بقانون الله «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»

وكل أمة على هذه الأرض تجد فى هُدى محمد ما يَطبّ أدائها، ويقيم من عوجها. وهل أودى بالجماعات إلا عصبيات باطلة، وأهواء جامحة، وشهوات مسلّطة، واستكبار على الحق، ونفور من العدل؟ هل كبّ الناس فى جهنم إلا ما استمر فى قلوبهم من الضغينة، وثار فى رءوسهم من الهوى؟ وهل يعرف التاريخ كمحمد رسولاً جاء بالشرع الجامع، والأخوّة العامة، والعدل الشامل؟ هل يعرف التاريخ كمحمد هادياً ألّف بين منازع النفس على قانون من العفة والعدل، وألّف بين الإنسان والإنسان على شريعة من المودة والأخوة، وألّف بين الأمة والأمة على منهاج من الحق والبر والعمل الصالح لخير الناس أجمعين؟ من رفع للناس لواء الأخوة لا يفرق بين الأبيض والأسود، ولا يميز بين المشرق والمغرب؟: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم». من دعا الناس جميعاً إلى التنافس فى الخير على اختلاف أديانهم ونحلهم وأنزل عليه: «ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير». «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون»

أين أنتم من هذه الأخوة الجامعة يا ضُلال البشر؟ أين أنتم من دعوة الخير العامة يا دعاة الشر؟ أين أنتم من هذه الرحمة يا قساة القلوب؟ أين أنتم من هذا الصلاح يا فساد الشعوب؟

المسلمون أحق باللوم وأجدر بالتعنيف. فهم أهل هذا الدين